

مقالات رأي

الاستاذ عادل عسوم يكتب (وعصي الدمع) اغنيتان بذ فيهما (الجندول) الدكتور كابلي محمد عبد الوهاب وام كلثوم

أضواء البيان • 29-05-2024 • 8 دقائق قراءة



إنهما أغنيتان بطعم الشهد، قامتتا على ركائز من المتانة والبهاء بمكان!

(أراك عصي الدمع) لشاعرها أبي فراس الحمداني وقد غتها كوكب الشرق أم كلثوم، و(الجدول) لشاعرها المصري المهندس علي محمود طه التي غناها الموسيقار محمد عبدالوهاب.

سأعمد إلى نقاط بعينها تكون أساسا ومساطر للمقارنة والترجيح، وبالطبع فلن أعتد -كمآل وميس- على ذاتقتي وأذني عند المقارنة ما بين لحن وأداء كابلي وأم كلثوم ثم محمد عبدالوهاب على الرغم من اعتدادي بذلك، وما ذاك إلا لحرصي كي يكون رأيي ألزم للصواب، ولكون اذني وذاتقتي (ألصق) بالسلم الخماسي. ابتدر بقصيدة أبي فراس الحمداني فأقول:

هناك حقيقة قد تكون خافية على الكثير منا في السودان، ألا وهي أن الدكتور كابلي سبق أم كلثوم في تلحين واداء اغنية أراك عصي الدمع شيمتك الصبر، وقد ذكر ذلك كابلي بنفسه في ثنايا الفيديو المرفق أدناه. واللحن الذي جادت به قريحة كابلي يعد أكثر تماهيا مع سمت القصيدة ومعاني الكلمات فيها، ويمكن للسامع ان يتبين ذلك منذ ابتداء الأداء حيث يبدأ كابلي في نطق كلمة أراك بصوت أعلى، ومن مستوى لحنى مرتفع، ثم تتغير نبرة صوته وهو يقول (عصي الدمع) ليتفاعل مع ذلك الإيقاع للدلالة بوضوح على أهمية السمة الأساس التي تدور عليها رchy القصيدة بكاملها وهي (قساوة المحبوب)!!، ثم يخفت الصوت منه رويدا رويدا وهو يقول (شيمتك الصبر)، ليتبع ذلك بتساؤل أبي فراس (أما للهوى نهى عليك ولا أمر)؟!

هذا الإبتدار بهذه الصورة يمكن للذي لديه ملكة لحنية أن يتبين العبقرية اللحنية الكامنة فيه!، ولاغرو أن اللحن إن لم يستجب لمعاني ومرادات الشاعر في القصيدة، يودي إلى مباينة ونشاذ تحسه الأذن المرهفة، فما بالك بمن يعط المعنى الكامن في (كل كلمة) من كلمات القصيدة على حدة حقه من الاظهار والموسقة؟! ولنقارن بين ابتدار الدكتور كابلي وابتدار كوكب الشرق ولنقارن بحياد.

أمر آخر، كابلي قسم القصيدة إلى أجزاء وضح جليا بأنه قد تناغم وتماهى في ذلك بصورة محكمة مع مرادات ابي فراس فيها، حيث وهب كل جزء من تلك الاجزاء ما يناسبه من (كوبليه) لحنى وأسلوب أداء يتناسب بصورة عجيبة مع السياق العام في كل جزء ومقطع!.

وكابلي -صاحب الصوت الملوكي الفخيم- معلوم عنه أنه صاحب لغة راقية وشاعر متمكن، ينبني بذلك تأليفه لعدد مقدر من القصائد وجلها منظوم بالفصحى التي يعشقها وتبدو دوما في ثنايا لقاءاته وأحاديثه، يضاف إلى كل ذلك موهبته وملكته في عوالم التلحين، وهو الذي لحن جل أغنياته بنفسه وكذلك لحن لسواه من زملائه المطربين، وهو كذلك المعلوم عنه اجادته للعزف على العود إلى حد الإدهاش، ويعلم أهل العود في السودان بأن كابلي أول من عمد إلى تحويل وتر العود الخامس ليعطي نغمة مغايرة ظهر ذلك في سياق لحنه لماتعته (إني أعتذر/حبيبة عمري تفشى الخبر) ليتبعه في ذلك الملحن الكبير بشير عباس وآخرون، ومن ثم يصبح الأمر دارجا عند اهل التلحين والموسقة في السودان.

هذا هو الفارق بين كابلي وكوكب الشرق أم الكلثوم التي لا يختلف اثنان على عبقرية صوتها واسلوبها اللادائي الفخيم، لكنها لم يعلم عنها الذي ذكرته اعلاه عن كابلي. ومعلوم أن قصيدة أبي فراس طويلة جدا، وقد اجتزأ كل من كابلي وأم كلثوم بعضا من ابياتها ولم يغنيهاها كاملة.

انتقل إلى الجدول التي نظمها المهندس علي محمود طه فأقول:

لقد تم تلحين هذه الأغنية من قبل الموسيقار القامة محمدعبدالوهاب في عام 1941...

ولا يختلف اثنان بأنه أجاد في تلحينها وأدائها، بل قيل بأنها تعد من أفضل أعماله الفنية ان لم تكن أفضلها...
 الا أن محمد عبدالوهاب إختار لها إيقاع (الفالس) غير المعهود على الأذن العربية والأفريقية معا، ولأن كان البعض يعد ذلك من مميزات هذه الأغنية؛ الا أن الموسيقار رياض السنباطي قال في ذلك مامعناه (اختيار محمدعبدالوهاب للفالس كإيقاع لهذه الأغنية لايتناسب مع (نفس) القصيدة، وليته إختار لها إيقاعا آخر)!

كابلي بالطبع سمع الأغنية من فم محمدعبدالوهاب لكونه أسبق من كابلي في تلحينها وأدائها، وكابلي بذلك يكون قد تعامل مع قصيدة ملحنة ومغناة، أما محمدعبدالوهاب فقد تعامل مع نص شعري فقط، والمعلوم منطقا وعقلا أن الذي يطرأ ويتعامل مع ذات الأمر تكون نتائجه وخلاصاته -غالبا- أفضل وأقرب الى الكمال دون الذي سبقه إذا لم يعتور تناوله اخطاء في اختياراته تخصم من جودة العمل، وعادة يتسنى لللاحق تبين مواطن القوة والضعف والاحكام والاخلال في طرح من سبق، وذلك الذي تيسر لكابلي وهو يتعامل مع نص شعري ملحن ومؤدى...

ومن يستمع إلى أغنية الجندول -وقد زار المدينة التي ألفت في رحابها هذه القصيدة البديعة- يصل به الالدهاش مبلغا عظيما، انها فينيسيا الايطالية الرابضة على جزر عديدة متصلة ببعضها عن طريق قنوات مائية غاية في الروعة...

تقع المدينة في شمال شرق ايطاليا على شكل مستطيل يحاذي بحيرة متوازية مع البحر الادرياتيكي، وقد نسيت اسم الفندق الذي نزلت فيه لعدة أربعة عشر يوما، لكنني أذكر جيدا بأنه في ساحة سان ماركو ويطل على كنيسة ذات مبنى فيه الكثير من بصمات المعمار الاسلامي، ما أجمل تلك المدينة...

أما الجندول فهو قارب يذكرك بقوارب الفراعنة المصنوع من سيقان البردي وله رأس وذيل معقوف، ولعلي أتت ببعض الصور لتلك المدينة لاحقا اذ لدي اشكال في اللابتوب بالنسبة لانزال الصور بين يدي الحديث عن لحن وأداء ذات الأغنية من الموسيقار محمدعبدالوهاب والدكتور كابلي، وقد (سمعت) بأن التي نظم فيها الشاعر القصيدة خلاسية أثيوبية التقاها في فينيسيا -والعهدة على الراوي-.

قصيدة على محمود طه هي من الطول بمكان، لذلك اختار كابلي منها بعضها، ولعلها ذات الأبيات التي غنتها أم كلثوم:

أين من عيني هاتيك المجالي ياعروس البحر يحلم الخيال
 أين من واديك يا مهد الجمال
 موكب الغيد وعيد الكرنفال وسرى الجندول في عرض القنال
 بين كأس يشتهي الكرم خمره
 وحبيب يتمنى الكأس ثغره
 إلتقت عيني به أول مره
 فعرفت الحب من أول نظره
 أين من عيني هاتيك المجالي ياعروس البحر يحلم الخيال
 مر بي مستضحكا في قرب ساقى يمزج الراح بأقداح رفاق
 قد قصدناه على غير اتفاق فنظرنا وابتسمنا للتلاقي
 وهو يستهدي على المفرق زهره

ويسوي بيد الفتنة شعره
حين مست شفتي أول قطره
خلته ذوب في كأس عطره
أين من عيني هاتيك المجالي ياعروس البحر يا حلم الخيال
ذهبي الشعر شرقي السمات مرج الأعطاف حلو اللفات
كلما قلت له خذ قال هات يا حبيب الروح يا أنس الحياة
أنا من ضيع في الأوهام عمره
نسي التاريخ أو أنسي ذكره
غير يوم لم يعد يذكر غيره
يوم أن قابلته أول مره
أين من عيني هاتيك المجالي ياعروس البحر يا حلم الخيال
قال من أين وأصغى ورنا قلت من مصر غريب ههنا
قال أن كنت غريبا فأنا لم تكن فينيسيا لي موطننا
أين مني الآن أحلام البحيره
و سماء كست الشيطان نضرة
منزلي منها على قمة صخره
ذات عين من معين الماء ثره
أين من فارسوفيا هاتيك المجالي يا عروس البحر يا حلم الخيال
قلت والنشوة تسري في لساني هاجت الذكرى فأين الهرمان
أين وادي السحر صдах المغاني أين ماء النيل أين الضفتان
آه لو كنت معي نختال عبره
بشراع تسبح الأنجم إثره
حيث يروي الموج في أرخم نبره
حلم ليل من ليالي كليوباتره
أين من عيني هاتيك المجالي يا عروس البحر يا حلم الخيال
أيها الملاح قف بين الجسور فتنة الدنيا وأحلام الدهور
صفق الموج لولدان و حور يغرقون الليل في ينبوع نور
ما ترى الاغيد وضاء الأسره
دق بالساق وقد أسلم صدره
لمحب لف بالساعد خصره؟
ليت هذا الليل لا يطلع فجره
أين من عيني هاتيك المجالي يا عروس البحر يا حلم الخيال
رقص الجندول كالنجم الوضيئ فاشد يا ملاح بالصوت الشجي
وترنم بالنشيد الوثني هذه الليلة حلم العبقرى

شاعت الفرحة فيها والمسره
وجلا الحب على العشاق سره
يمنه مال بي على الماء ويسره
إن للجندول تحت الليل سحره
أين يا فينيسيا تلك المجالي أين عشاقك سمار الليالي
أين من عيني يا مهد الجمال موكب الغيد وعيد الكرنفال
يا عروس البحر يا حلم الخيال
adilassoom@gmail.com

<https://www.almuhit-adn-news.com/news/902> /الاستاذ-عادل-عسوم-يكتب-وعصي-الدمع-اغنيتان-بذ-فيهما-الجندول-الدكتور-كابلي-محمد-عب

© 2026 شبكة المحيط الإعلامية — جميع الحقوق محفوظة